الجُودى

جبـــــل أرارت

الذى رست عليه سفينة نوح عليه السلام

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [هود: ٤٤].

•• الأحداث التى وقعت فى المكان:

دعا آدم ذريته إلى عبادة الله الواحد، فكان أول نبى لبنى البشر.

استمر أبناء آدم[1] وأحفاده من بعده على عهدهم لدعوته، والتمسك بها، ثم خلف من بعدهم خلف نسوا الله، وعبدوا آلهة متعددة أسموها[2] بعدة أسماء: ودا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا.. يسجدون لها ويدعونها، ويقدمون لها القرابين.

شاء الله أن يعيد الناس إلى عبادته، وترك عبادة هذه الأصنام، فبعث إليهم نوحاً[3] رسولاً من عنده، ليعودوا إلى الحق.

استمر نوح يدعو قومه ليلاً ونهاراً، فلم يؤمن به إلا نفر قليل، بينما استمر الباقون على كفرهم.

كثيراً ما حاول نوح أن يهدى قومه إلى الحق، فكانوا يرفضون دعوته، ويقولون له:

﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [هود: ٢٧].

---

(١) استمرت حياة آدم ٩٣٠ سنة.

(٢) كانت هذه الأسماء لأشخاص مصلحين مؤمنين، فلما ماتوا.. أراد الناس أن يخلدوهم، فقاموا لهم التماثيل، وعلى مرور الأيام قدس الناس هذه التماثيل وعبدوها!!.

(٣) هو نوح بن لامك بن متوشالح بن إدريس.. ينتهى نسبه إلى شيث بن آدم عليه السلام.

﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾ [نوح: ٧].

ذكر نوح قومه بفضل الله عليهم، ليؤمنوا بدعوته، قال لهم:

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١١ - ١٢].

أدرك نوح إصرار قومه على كفرهم، فنادى ربه:

﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧].

أمر الله نوحاً أن يصنع سفينة.

كان قوم نوح كلما رأوه وهو يصنع السفينة استهزئوا به، كيف يصنع سفينة فى أرض يابسة، ليست نهراً ولا بحراً؟! وكيف تسير هذه السفينة على الأرض؟! (١).

كان نوح قد انتهى من صنع السفينة، فأمره الله أن يدخل فيها هو ومن آمنوا به، وأن يأخذ معه مع الحيوانات والطيور زوجين اثنين، ذكراً وأنثى.

لكن الكفار لدهشتهم، فوجئوا ذات يوم بالأمطار الغزيرة قد هطلت، وتفجرت العيون والأبار بما فيها من مياه، وتحولت المنطقة إلى بحر تتلاطم أمواجه.

وطفت السفينة على صفحة الماء بمن فيها، وأغرق الطوفان الكفار، وكان منهم أحد أبناء نوح، وامرأته.

بعد حين.. توقفت الأمطار عن الهطول، وغيض الماء، واستقرت السفينة على أحد الجبال العالية، هو جبل أرارات الذى سماه القرآن الكريم الجودى.

ونزل من السفينة نوح والمؤمنون، ليعمروا الأرض.

---

(١) فمعروف أن السفن والمراكب تصنع على الساحل بجوار الماء.. ليمكن إلقاؤها على المياه بعد نهاية صنعها.

**** زمن هذه الأحداث:**

لم يرد فى القرآن الكريم إشارة إلى متى وقعت هذه الأحداث[1]، كل ما ذكره القرآن أن نوحاً استمر فى قومه ألف عام إلا خمسين، كما في قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وقد جاء في العهد القديم (التوراة) في الإصحاح السابع من سفر التكوين أن الطوفان حدث حين كان عمر نوح ٦٠٠ سنة.

فمتى كان مولد نوح؟

جاء في أطلس تاريخ الأنبياء والرسل لمؤلفه سامى المغلوث أن نوحاً ولد بعد وفاة آدم بحوالى ١٢٥ سنة.

وفى نفس المصدر أن آدم عاش من حوالى سنة ٥٩٠٠ ق. م إلى سنة ٤٧٩٠ ق. م. وبذلك يكون الطوفان سنة ٤٢٤٥ ق. م أى بعد ٦٠٠ سنة من مولد نوح.

هذا كله لم يرد به نص تاريخى، ولكنه مجرد استنتاج، مع التغاضى عن عشر سنوات زيادة أو نقصاً، كما يفترض علماء التاريخ.

لقد اكتشف علماء التاريخ المكان الذى رست عليه سفينة تتفق أطوالها مع ما جاء في سفر التكوين الإصحاح السادس من وصف لسفينة نوح [2]، فقد اتضح أن هيكل السفينة التى عثر عليها طوله ٥١٥ قدماً وعرضه ١٣٩ قدماً.

أما القرآن الكريم، فقد اكتفى بأمر الله لنوح بصنع السفينة، ووصف ما حدث عن

---

(١) قال بعض العلماء: إن طوفان نوح حدث منذ عشرة آلاف عام، دون أن يذكروا دليلاً على ذلك (المؤلف).

(٢) (اصنع لنفسك فلكاً من خشب وتطليه من الداخل والخارج بالقار، وهكذا يصير ثلاثمائة ذراعاً يكون طول الفلك، وخمسين ذراعاً يكون عرضه، وثلاثين ذراعاً يكون ارتفاعه، وتصنع باب الفلك من جانبه ومساكن سفلية وعلوية تجعله...) الإصحاح السادس تكوين فقرات ١٤ - ١٧.

الطوفان وقصة نوح مع ابنه كنعان الذى رفض الإيمان، فغرق.

بعد انتهاء الطوفان، خرج أبناء نوح وأحفاده، ليعمروا الأرض الواسعة، فليس لدينا ما يؤكد أو ينفى أن الطوفان غمر المنطقة التى كان يعيش قوم نوح أو العالم كله[1]. والله أعلم.

توزّع أبناء نوح وأحفاده على مساحات عديدة من العالم.

فاتجه أبناء سام إلى بلاد فارس والأشوريين.

واتجه أبناء حام إلى شبه الجزيرة العربية ومصر والسودان والحبشة والهند.

واتجه أبناء يافث إلى الصين واليونان والأتراك والديلم.

فكان هذا بداية لعمران الأرض.

**** موقع المكان :**

جبل أرارات (يعرف بجبل أكرى داغ، أو جبل الحارث) [2] الذى هو الجودى، يقع على الحدود عند شرق تركيا وأكراد العراق وإيران [3].

ارتفاع الجبل ٥١٥٦ متراً. على ارتفاع حوالى ٢٠٠٠ متراً توجد جزيرة ابن عمر.

وهذا يعطى فكرة على أن قوم نوح كانوا يسكنون جنوب ووسط العراق، فقد كانت هذه المنطقة ومنطقة الهلال الخصيب في الشام من أنسب المناطق للاستيطان البشرى، ومعنى هذا أن استقرار الجنس البشرى منذ عهد آدم كان فى هذه المنطقة، ومنها انتشر الناس في أنحاء أخرى في العالم.

تُعرف المنطقة التى يقع فيها جبل أرارات مناخياً بأمطارها الشتوية، وفيها تقع منابع نهرى دجلة والفرات اللذين تفيض مياههما في فصل الربيع، نتيجة لذوبان الجليد الذى

---

(١) معروف أن الله أعدل من أن يأخذ الجميع بالعقاب.

(٢) المنجد ص ١٣.

(٣) قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار، وأطلس تاريخ الأنبياء والرسل.

تكون على هذه المنطقة في فصل الشتاء.

كما تمتاز العراق بتربتها الخصبة، مما يعطى فرصة للاستيطان البشرى.

ومما يؤكد هذه الفكرة أن أول من سجل حادث الطوفان هم السومريون الذين كانوا يكونون دولة عاصمتها سومر في جنوب العراق، وكذلك الأكاديون الذين كانوا يكونون دولة وسط العراق.

هذا على اعتبار أن هاتين الدولتين أقرب إلى المنطقة التى استقرت فيها سفينة نوح [1]، والله أعلم.

* * * * *

(١) جاء في أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص٨١ أن أحد العلماء الأمريكين استطاع بواسطة أشعة الرادار تحديد هيكل لسفينة قديمة تتفق أبعادها مع أبعاد سفينة نوح التى جاءت وصفها في التوراة.. وكان يعلو السفينة عدة طبقات من الطمى.

بابـــل

مدينة هاروت وماروت

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]

**** قصة الأحداث التي وقعت في هذا المكان:**

رغم ما يكتنف هذه الأحداث من غموض وإبهام؛ لأن جذورها تضرب في سحيق التاريخ.. إلا أن بعض الرواة حاولوا أن يكشفوا بعض النقاب عنها، يقول الرواة:

لاحظت الملائكة ما يصعد إلى الله من أعمال الشر والذنوب الخبيثة التي يقترفها البشر.. أبناء آدم عليه السلام الذين اصطفاهم الله من خلقه؛ ليعمروا الأرض، ويعيشوا فيها، فقالوا لله [١]:

- هؤلاء هم الذين جعلتهم خلفاء في الأرض.. يعصونك!!

فقال الله لهم:

- لو أنزلتكم إلى الأرض، وجعلت فيكم ما فيهم [٢] لفعلتم مثلهم.

قالت الملائكة:

- سبحان الله.. ما كان ينبغي لنا أن نعصيك أو نخالف أمرك، نشكر لك فضلك ونعمك علينا.

اختار الله مَلَكَيْن من الملائكة المشهود لهم بالصلاح، هما: هاروت وماروت، وركَّب

---

(١) قصص الأنبياء، للثعلبي ص ٥٥.

(٢) المقصود بهذا: الشهوة الجنسية التي تحمّل أبناء آدم مسؤوليتها.

فيهما الشهوة التى فى بنى آدم. تلك الشهوة الجنسية التى اختبر الله بها الإنسان.

أهبط الله الملكين، ونهاهما عن الشرك، والكفر به، والقتل والزنى وشرب الخمر.

استمر الملكان على عهدهما مع الله شهرًا.. يقضيان بين الناس بالعدل نهارًا، ويذكران الله ليلاً.

ثم افُتتنا، فتنتهما امرأة من أرض بابل بالعراق، كانت جميلة وكافرة، تعبد صنمًا لها.

تحركت فى الملكين الشهوة الجنسية، وتحركت فيهما عوامل الشر ونزعات الشيطان، فراوداها عن نفسها، ولكنها رفضت دعوتهما.

حدث هذا عدة مرات حتى وضعت المرأة شروطها للموافقة على ما أرادا، طلبت منهما أن يسجدا لصنمها الذى تعبده، وأن يشربا خمرًا، حتى ينالا منها مأربهما.

رفض الملكان عرض المرأة فى أول الأمر، ثم وافقا على أن يشربا خمرًا.

شرب الملكان خمرًا، فانتشيا، فزنا كل واحد منهما بالمرأة، سعيدين بما أحسا به من نشوة مع المرأة، ورآهما رجل، فقتلاه خوفًا من الفضيحة.

ثم سجدا للصنم الذى تعبده المرأة، وتغيرت أحوالهما من صلاح إلى فساد وكفر وخطيئة، وكانا يعلمان الناس السحر.

بعد حين.. حاول الملكان أن يصعدا إلى السماء من حيث جاءا، فلم تسعفهما أجنحتهما، لأن الله غضب عليهما، وما يزالان معلقان بين السماء والأرض، يقاسيان الظمأ، وقد اسود وجهاهما.

فى السماء.. التقى الملكان بنبى الله إدريس[1] عليه السلام، وطلبا منه أن يشفع لهما عند الله، وما يزالان معلقين فى السماء.

---

(١) هو إدريس (أخنوخ) بن برد (يارد) بن مهلائيل بن قينان بن شيث بن آدم عليهما السلام، جاء ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ [مريم: ٥٦ - ٥٧]. وكان يعيش فى أرض بابل، ثم هاجر إلى مصر، وهو أول من كتب بالقلم وخاط الثياب.

**** الزمن التاريخي لهذه الأحداث:**

ليس لدينا سند من التاريخ عن زمن هذه الأحداث.

لكننا يمكن أن نقول: إن هذه الأحداث وقعت بعد أن رفع الله إدريس ﷺ إلى السماء.

ومعروف أن إدريس عاش ٣٦٥ سنة في الفترة من ٤٥٦٠ ق. م حتى ٤٢٠٠ ق. م، أي قبل دعوة نوح [١] ﷺ.

❁ ❁ ❁

تعرضت بابل لموقف آخر، فقد وقعت فيها أحداث أخرى لم يتحدث القرآن الكريم عنها، ولكنها وردت في العهد القديم.. الإصحاح ١١ تكوين الفقرات ١ - ٩، وملخص ما جاء فيها:

اجتمع في بابل أبناء نوح ﷺ، ليبنوا لهم مدينة وبرجًا عاليا، لعلهم يرون الله خالقهم.

أثناء بناء البرج.. لاحظوا أنهم لا يسمعون أو يفهمون الأحاديث بينهم.

لقد شاء الله أن يُبلبل ألسنتهم.. فما عادوا يتكلمون لغة واحدة، فتشتتوا بألسنتهم في أنحاء متفرقة من العالم، وتحطم البرج الذي بنوه، وتعددت لهجاتهم.

ومن أجل ذلك عرف هذا المكان باسم بابل.

أعاد تأسيس بابل الملك سوموابوم الأشوري سنة ٢١٠٥ ق. م[٢]، وجعلها عاصمة له، وكان أحد ملوكها حمورابي بعد ذلك، ثم أصبحت عاصمة نبوخذ نصر البابلي [٣]

---

(١) أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص ٥٠.

(٢) التاريخ القديم لبلاد ما بين النهرين.

(٣) نبوخذ نصر: هو الذي هاجم أورشليم، وأحرقها، ودمّر هيكل سليمان، كما سيأتي بعد في قصة المسجد الأقصى.

سنة ٦١٢ ق. م بعد سقوط نينوى.

بعد وفاة نبى الله سليمان ﷺ، زعم بنو إسرائيل أن قدرة سليمان على السيطرة على الجن والطير، كانت بفضل أسرار السحر الذى كانت مكتوبة فى كتاب موضوع تحت الكرسى، وأنه أخذ أسرار هذا السحر مما خلفه الملكان هاروت وماروت فى بابل، وأن آصف بن برخيا تعلم هذا السحر، وأنه استطاع أن يحضر عرش بلقيس من اليمن إلى أورشليم بهذه السرعة المذهلة، قبل أن يرتد البصر، وكان بنو إسرائيل قد حرفوا ما جاء فى هذا الكتاب وجعلوا يفرقون بين المرء وزوجه.

**موقع المكان:

تقع بابل فى العراق شرق نهر الفرات، قرب مدينة الحِلّة، على بعد حوالى ١٦٠ كم من جنوب شرق بغداد.

وموقعها فى منطقة سهلية بقرب النهر، أتاح لسكانها الزراعة من مياه النهر، بالإضافة إلى الأمطار التى تسقط عليها فى فصل الشتاء. مما ساهم فى خلق حياة بشرية فى هذه المنطقة منذ القدم.

* * * * *

الأحقاف

حيث كان يعيش قوم عاد

﴿ ۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢١].

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٥].

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [فصلت: ١٥].

**** الأحداث التي وقعت في هذا المكان:**

انتشر أبناء نوح وأحفاده والذين آمنوا به في أنحاء شتى من العالم.

كان منهم قوم عاد [١] الذين حباهم الله ببسطة في الجسم، وأمدهم بأنعام وبنين، وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح، وزادهم في الخلق بسطة.

تكاثر قوم عاد في هذه المنطقة.. يعيشون في خير وسعادة، فشيدوا القصور [٢].

﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ ﴾ [الفجر: ٧ - ٨].

أنعم الله على قوم عاد بالخيرات الوفيرة: أخصب لهم الأرض، وأسقط لهم الأمطار، وفجر لهم من العيون مياهاً، فأقاموا الحدائق والبساتين، حتى غدت أرضهم أشبه بجنة.

كان عليهم أن يشكروا الله على فضله ونعمه، أن يعبدوه، ولكنهم نسوا ربهم، وعبدوا آلهة صنعوها من الحجارة بأيديهم، أسموها بعدة أسماء: صداء وصمود والهباء، وراحوا يسجدون لها، ويتقربون إليها، أشركوا بالله، وكانوا يقولون: من أشد منها قوة؟

---

(١) عاد: من أحفاد نوح، وهو جد هود عليه السلام.

(٢) إرم: نسبة إلى إرم بن سام بن نوح.

بعث الله إلى قوم عاد واحداً منهم، يدعوهم إلى ترك عبادة هذه الأصنام، وأن يعبدوا الله وحده، بعث الله رسوله هوداً[1] إلى قومه، يذكرهم بفضل الله عليهم.. قال لهم:

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥].

لكن قوم عاد لم يستجيبوا لدعوة هود رسول الله إليهم.. استمروا على كفرهم وضلالهم، قال لهم هود:

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢].

لكن قوم عاد استكبروا، وقالوا لهود:

﴿يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ﴾ [هود: ٥٣ - ٥٤].

كثيراً ما حاول هود أن يذكر قومه بفضل الله عليهم، وما وهبه لهم من نعم وخيرات. لكنهم كانوا يجيبونه باستهزاء، قال بعضهم:

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الشعراء: ١٣٦ - ١٣٧].

وقال آخرون:

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف: ٦٦].

وما يملك هود وهو في موقفه هذا إلا أن يقول:

﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦].

لذلك؛ استحق قوم عاد عقاب الله لهم.

---

(١) هو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام.

فنادى هود ربه:

﴿ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ ﴾ [الشعراء: ١١٧].

فأجابه الله:

﴿ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٤٠].

منع الله عن قوم عاد المطر، فجفت الأرض، وذبل الزرع، ويبست العيدان التي كانت خضراء، واحترق النبات من شدة الحرارة.

حتى كان ذات يوم..

أقبلت إلى قوم عاد سحابة، ظنوها بشرى لأمطار وفيرة، ففرحوا.

أمر الله هودا أن يبتعد هو ومن آمنوا به.

فجأة.. هبّت ريح عاصفة، اقتلعت كل ما في طريقها، تطايرت معها أجسام قوم عاد. لم يستطيعوا أن يقفوا في مواجهتها، وهي تلقي بهم على الأرض:

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٧].

لاذ قوم عاد بقصورهم، ولكنها تساقطت عليهم فوق رؤوسهم.

استمرت الريح سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، حتى هلك كفار قوم عاد، وتحطمت مساكنهم، ونجّى الله هوداً والمؤمنين به؛ ليعمروا الأرض.

حتى إذا بلغ هود مائة وخمسين عاماً.. مات، فدفنوه داخل كثيب من الرمال الحمراء، في منطقة تريم، وزرعوا فوق قبره شجرة الأراك.

** الزمن التاريخي لهذه الأحداث:

ذكر علماء التاريخ وبعض الرواة أن الفترة التي كان يعيش فيها قوم عاد كانت من سنة ٢٤٥٠ ق. م إلى سنة ٢٣٠٠ ق. م، وأن الله بعث هوداً إلى قومه حوالى سنة

٢٤٠٠ ق. م.

لم يرد فى الكتب السماوية الأخرى: التوراة أو الإنجيل.. قصة قوم عاد ومساكنهم وقصورهم، وما وقع لهم.. انفرد القرآن الكريم دون باقى الكتب المقدسة بذكر تفاصيل قود عاد.

ثم شاء الله أن يؤكد حقائق القرآن الكريم، حين اكتشف بعض رجال التنقيب عن البترول في السعودية، مصادفة قصراً كبيراً بدا منحوتاً في الصخر، كان أحد قصور مدينة إرم التى ذكرها القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ ﴾ [الفجر: ٦ - ٨].

ولعل أرض هذه المنطقة تبوح ذات يوم قريب بمزيد من أسرارها، وما تخفيه الرمال تحتها من آثار ومدن.. تلك التى كان يعيش فيها قوم عاد.

**موقع المكان:

هذه المنطقة تقع في جنوب شبه الجزيرة العربية..

يحدها من الجنوب البحر العربى الذى هو جزء من المحيط الهندى، ومن الشمال منطقة الحجاز التى هى جزء من المملكة العربية السعودية ويحدها من الشرق عمان والخليج العربى، وفى أقصى الغرب البحر الأحمر.

هذه المنطقة هى الآن منطقة صحراوية جافة حارة، وإن كان واضحاً أنه أيام قود عاد كانت تسقط كثير من الأمطار عليها.

الآن تغطى الرمال هذه المنطقة، والتى تعتبر امتداداً لرمال صحراء الربع الخالى التى تحتل مساحة كبيرة من جنوب شرق شبه الجزيرة العربية.

سياسياً، كانت هذه المنطقة تعرف باسم حضر موت، هى الآن جزء من جنوب دولة اليمن.

* * * * *

الحجر

ديار قوم ثمود (مدائن صالح)

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الحجر: ٨٠].

﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود: ٦١].

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٩].

﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ ﴾ [الفجر: ٩].

**** الأحداث التي وقعت في هذا المكان:**

عاش قوم ثمود[1] بمنطقة الحِجْر[2].. أرض خصبة.. أمطار وفيرة.. فيها كثير من مياه العيون والآبار التي كانت مصدراً لانتشار مساحات واسعة من البساتين والحقول والنخيل، وأقاموا عدة مدن وقرى بعضها في المناطق السهلية، وأخرى نحتوها في صخور الجبال ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الحجر: ٨٢]، فضلاً عن موقع هذه المناطق على طريق التجارة بين مكة والشام.

مع كل هذه النعم.. نسي قوم ثمود عبادة الله، وعبدوا آلهة صنعوها بأيديهم، أو نحتوها من الصخر، يسجدون لها، ويتقربون إليها.

بعث الله إلى قوم ثمود واحداً منهم هو صالح[3].. قال صالح لقومه:

﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ

---

(١) ثمود: هو ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام.

(٢) تعرف هذه المنطقة الآن بمدائن صالح.

(٣) هو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن حاذر بن ثمود بن عاد بن آدم بن سام بن نوح عليه السلام.

تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود: ٦١].

ومع أن كثيراً من قوم ثمود كانوا يعلمون عن أخيهم صالح صدقه، إلا أنهم لم يستجيبوا لدعوته.

اختلف قوم ثمود، واختاروا ماذا يفعلون.

بعضهم آمن بإله صالح، وبعضهم استمر على عبادته للأصنام، وقال فريق من هؤلاء الكفار لصالح:

﴿ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾ ﴾ [هود: ٦٢].

وقال فريق آخر:

﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٥٤].

استمر النقاش والحوار بين صالح وكفار قومه، حتى بعث الله إليهم آية ذات يوم..

بينما كان قوم ثمود جالسين يتناقشون.

فجأة.. رأوا ناقة ضخمة تخرج من الجبل.. يتبعها ولدها.

هنالك.. قال صالح لقومه:

﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ ﴾ [هود: ٦٤].

اشترط صالح على قومه أن يكون للناقة يوم تشرب فيه من البئر، ولهم يوم. كانت ناقة عجيبة تشرب من ماء البئر كله، وتدر لبناً يكفي كل قوم ثمود.

﴿ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النمل: ٤٨].

تآمر الرجال التسعة على قتل الناقة.

فلما كان الليل.. هاجموها، وسد عليها الطريق أحدهم، وهو مصدع، وضربها أكثرهم شراً وهو قدار.. فسقطت صريعة.

هكذا.. قتل قوم ثمود ناقة الله، فاستحقوا عقاب الله لهم.

قال صالح لقومه:

﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ [هود: ٦٥].

وابتعد صالح عن قومه ومعه من آمن بالله.

فجأة..

سمع كفار ثمود صرخة عاتية، اهتزت لها الأرض، ففزعوا ووقعوا.. لم يستطيعوا أن ينهضوا، ماتوا..

ونجى الله صالحاً ومن آمنوا به.. ولما توفى صالح دفن بمكة.

**** الزمن التاريخى لهذه الأحداث:**

واضح من أصول نسب قوم عاد وقوم ثمود أنهم يرجعون إلى نسب واحد.. فعاد بن عوص بن إرم، وثمود بن عامر بن إرم، والاثنان قوم عاد وقوم ثمود يرجع نسبهما إلى سام ابن نوح عليه السلام.

وهذا جعل بعض العلماء يطلقون على قوم ثمود عاداً الثانية.

كان يعيش قوم ثمود، وفقاً لآراء المؤرخين من سنة ٢١٥٠ ق. م إلى سنة ٢٠٨٠ ق. م وكانت بعثة نبى الله صالح سنة ٢١٠٠ ق. م.

مما يذكر عن تاريخ هذ المنطقة أن المسلمين يتقدمهم رسول الله حينما خرجوا في رجب سنة ٩ هـ للقاء الرومان في تبوك [1].. مروا على هذه المنطقة، فأسرع الرسول،

---

(١) عرف هذه الجيش بجيش العسرة، لأن الرسول كونه فى ظروف مادية ومناخية واقتصادية صعبة، وكان الهدف من خروج الجيش لقاء الرومان للانتقام منهم لمقتل ثلاثة أبطال مسلمين في معركة مؤتة سنة ٨ هـ هؤلاء الأبطال هم: عبد الله بن رواحة، وزيد بن حارثة، وجعفر بن أبى طالب. لم يجد المسلمون جيش الرومان، فعادوا إلى المدينة المنورة.

وقنع رأسه، وهمز راحلته، يحثها على الإسراع، ونهى الرسول رجاله عن دخول منازل قوم ثمود، إلا أن يكونوا باكين، فإن لم يبكوا.. تباكوا، خشية أن يصيبهم مثل ما أصاب قوم ثمود، وقال الرسول لمن معه:

((لا تشربوا من بئرها، ولا تتوضأوا منها للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه، فأعلفوه للإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرجن أحدكم الليلة، إلا ومعه صاحب له)).

وتعرف هذه المنطقة بشدة عواصفها التي تطمر رمالها الناس والإبل.

ومما يروى أن رجلين خرجا عن رأى رسول الله ﷺ، فاحتملت الريح أحدهما وطمرت الرمال الآخر، وأصابهما الفزع.

ذكر بعض من زاروا منطقة مساكن ثمود (الحجر) أنهم رأوا رمم جثث بعض رجال ثمود.

**** موقع المنطقة:**

هذه المنطقة تقع بين أرض الحجاز والشام، تقع أرض نجد في جنوبها الشرقي، وفي شرقها جبل شمر، وفي الغرب جبال الحجاز التي تفصلها عن البحر الأحمر (بحر القلزم) ومن هذه الجبال تنحدر إلى المنطقة بعض الوديان.

المسافة بين مكة ومدائن صالح حوالي ٦٤٠كم[1].

والمسافة بين المدينة المنورة ومدائن صالح حوالي ٣٥٠كم.

والمسافة بين الرياض ومدائن صالح حوالي ٩٠٠كم.

مناخ المنطقة حار، والأمطار نادرة.

والمنطقة محدودة الإنتاج اقتصادياً.

* * * * *

(١) الأطلس العربي بحساب مقياس الرسم، خريطة المملكة العربية السعودية ص٣٤.

سد ذى القرنين

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ [الكهف: ٨٣ - ٩٨].

تمهيد:

قبل أن نتحدث عن هذا الموضوع، يجب أن نؤكد هنا حقيقة هامة، وهى أن ذا القرنين الذى نحن بصدد الحديث عنه، ليس هو الإسكندر المقدونى الذى أطلق عليه بعض المؤرخين اسم (ذو القرنين) وكان فى الفترة من سنة ٣٥٦ق. م إلى سنة ٣٢٤ ق.م.

أما ذو القرنين الذى نقصده، فلم يكن ملكًا كافرًا، وإنما كان حاكمًا عادلاً صالحًا، استطاع أن ينشر عبادة الله فى أقصى شرق وغرب العالم، كما سيتضح من الحقائق التى سنتعرض لها.

**** قصة الأحداث التي وقعت في هذا المكان:**

كان ذو القرنين ملكًا طيبًا، وحاكمًا عادلاً.. أحبه كل رعيته، أهل مملكته [1].

لكن سؤالاً كان يشغل ذهن ذي القرنين: أين تغيب الشمس؟ ومن أين تشرق؟

لكي يجيب ذو القرنين على سؤاله، اتجه مع جيش له نحو الغرب، فرأى الشمس تغرب في مياه المحيط الأطلنطي الذي يقع غرب إفريقيا وآسيا في منطقة يكثر فيها الطين، حيث مصبّات بعض الأنهار.. وهناك نشر ذو القرنين دعوة عبادة الله بين القوم، ونشر العدل والسلام.

اتجه ذو القرنين بعد ذلك نحو الشرق، يبحث عن مشرق الشمس، حتى وصل إلى شرق آسيا، حيث المحيط الهادي، وهناك وجد أقوامًا شبه عراة، لشدة حرارة الشمس.. يسكنون كهوف الجبال، فهداهم إلى الحب والإخلاص وعبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام والحيوانات التي كانوا يعبدونها.

كان ذو القرنين سعيدًا برحلتيه نحو الغرب والشرق، وما حققه فيهما من دعوة أهل المنطقتين إلى الحق والمحبة والسلام.

اتخذ ذو القرنين طريقه للعودة إلى بلاده، ولعلها كما ذكرنا، كانت في المنطقة التي تقع بين البحر الأسود والبحر المتوسط، أي تركيا وما جاورها من بلاد أرمينيا.

---

(١) لم يحدد القرآن الكريم المنطقة التي كان يعيش فيها ويحكمها ذو القرنين، ولم يتفق الرواة والمؤرخون على رأي.. لكن الواضح من خلال الأحداث أن هذه المنطقة تقع في قارة آسيا.. بين الشرق والغرب في منطقة أقرب إلى التجمع البشري الأول لآدم ﷺ، وهي منطقة غرب آسيا، ويمكن أن نقول تجاوزًا: إنها منطقتي تركيا والأناضول؛ لاقتراب هذه المنطقة التي بنى فيها ذو القرنين السد (التركستان الروسية) (المؤلف).

فى الطريق.. فى المنطقة التى تشغلها الآن التركستان الروسية [1] التى تقع بين البحر الأسود غربًا وبحر قزوين شرقًا، ويحدها من الشمال جبال القوقاز.

فى هذه المنطقة لقى ذو القرنين جماعة من سكانها.. كانوا يعيشون فى رعب وفزع من هؤلاء السكان الذين كانوا يسكنون شمال جبال القوقاز والذين سماهم القرآن الكريم بـ يأجوج ومأجوج [2] الذين كانوا يهاجمون السكان، ويستولون على محاصيلهم من القمح وأغنامهم.

كان يأجوج ومأجوج يدخلون على هؤلاء القوم من فتحة فى جبال القوقاز تعرف باسم مضيق داريال [3].

أحس هؤلاء السكان فى ذى القرنين القوة والعدل والرغبة فى مساعدة الآخرين، فاشتكوا إليه ما يقاسونه من هجمات هؤلاء الأعداء يأجوج ومأجوج، وأن عليه أن يساعدهم فى الخلاص وحمايتهم منهم.. قالوا:

﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: ٩٤].

أجابهم ذو القرنين مشفقًا على حالهم:

﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف: ٩٥].

وتشجع القوم، وأعجبتهم الفكرة، فنشطوا فى جمع الحطب والأخشاب والأحجار التى كانت مختلطة بخام الحديد التى تكثر فى جبال تلك المنطقة، هداهم ذو القرنين إلى صنع أسلحة؛ لتقطيع هذه الأحجار من الجبال.

---

(١) دخل المسلمون هذه المنطقة سنة ٧٥١ م.

(٢) يأجوج ومأجوج جماعة من المغول، وهم من ذرية آدم عليه السلام من أحفاد يافث بن نوح، كانوا يعيشون على أكل الحشرات والزواحف، وهم أصول قبائل الديلم. (المنجد: ٢ ٥٧٠)

(٣) أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص٢١٠.

اهتدى ذو القرنين إلى مشروع لسد فتحة داربال بين حافتيها، لتتماسك مع الجبال.

كان الرجال يرصون الأحجار الحديدية، ويضعون فوقها طبقة من الحطب والخشب.

طبقات متعددة رصها الرجال من الحجارة والأخشاب، حتى ارتفع السد أعلى من الجبل من ناحيتيه، قال ذو القرنين للرجال.

- أشعلوا النار فى الحطب والخشب، وانفخوا.

حتى إذا انصهرت الأحجار الحديدية بفعل الحرارة، جاءوا له بالرصاص المذاب، فصبه على الحديد، فتماسكت الأحجار، وصار سدًا كتلة واحدة صلدة، عزلت ما بين الجنوب والشمال.

حاول قوم يأجوج ومأجوج أن يصعدوا السد، فما استطاعوا، لارتفاعه..

حاولوا أن يخرقوه، فما استطاعوا بعد، لقوة صلابته وتماسكه، وإحكام بنائه، ومتانته.

﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الكهف: ٩٧]

**** التاريخ الزمنى لهذه الأحداث:**

ذكرنا أن ذا القرنين هذا الذى ذكره القرآن الكريم ليس هو الإسكندر الأكبر المقدونى.

فشتان بين الاثنين: الأول كان عبدًا صالحًا مؤمنًا، اهتدى له الكثير من أهل الشرق والغرب، أما الإسكندر الأكبر، فكان قائدًا حربيًا، لم يعرف الهداية.. ويقال إنه كان سكيرًا.

وعلى ذلك، فإن ذا القرنين الذى نحن بصدد الحديث عنه ليس معلومًا لنا

نسبه، ولا الزمن الذى عاش فيه، ولم يكن نبيًا، ولذلك يحتمل أنه عاش فى فترة خلت من النبوة، ومن المحتمل أن تكون الفترة الزمنية التى عاش فيها ذو القرنين، كانت قبل دعوة إبراهيم عليه السلام، وخلال دعوة هود فى جنوب شبه الجزيرة العربية، وصالح فى غربها، يمكن أن نقول إن زمن ذى القرنين كان حوالى من ٢٣٠٠ق. م حتى ٢٠٠٠ق. م [1].

فمعروف أن يافث بن نوح قد هاجر إلى هذه المنطقة، بعد انتهاء الطوفان، واستقر فيها هو وأحفاده، وتكاثروا.

هذا مجرد اجتهاد فى موضوع لم يذكر القرآن الكريم تفاصيله، ولم يرد فى العهد القديم معلومات عنه، ولم تكشف حقائق التاريخ النقاب عنه، ولعل الأيام القادمة تفسر لنا كثيرًا مما غمض عن عقولنا.

يذكر التاريخ أيضًا أن سكان هذه المنطقة، كان منهم التتار والمغول الذين هاجموا الوطن العربى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلادى.. كان منهم جنكيزخان سنة ١١٥٥م - سنة ١٢٢٧م، وهولاكو سنة ١٢١٧ - ١٢٦٥ م، ولم ينقذ الوطن العربى من شرورهم إلا رجال مصر الذين انتصروا عليهم فى عدة مواقع وطاردوهم.

استطاع هؤلاء المغول أن يخرجوا من المناطق حول السد المجاور للجبلين التى تآكلت بفعل عوامل التعرية، اخترقوها دون أن يستطيعوا اختراق السد، سد ذى القرنين.

**** موقع هذا المكان:**

سد ذى القرنين بُنِىَ فى التركستان الروسية.. تلك المنقطة التى تقع فى وسط آسيا

(١) هذا مجرد استنتاج لمجريات أحداث التاريخ.

(١).

فى هذه المنطقة: تكثر الجبال مثل: جبال بنطس جنوب البحر الأسود، وجبال البرز التى تقع جنوب بحر قزوين، وجبال القوقاز التى تصل بين البحر الأسود وبحر قزوين.. والتى كانت بها فتحة داريال، تلك الفتحة التى سدها ذو القرنين، ليحمى سكان الجنوب من هجمات الشمال.

هذه الجبال: هى جبال التوائية، ترجع إلى حركة التواء حدثت فى الزمن الثالث الجيولوجى.

فى هذه المنطقة توجد الأنهار التى تنبع من قمم الجبال نتيجة لذوبان الجليد فى فصل الربيع، هذا الجليد تكون فى فصل الشتاء، هذه الأنهار مثل نهر سيروس، ونهر أركس، وهما يصبان فى بحر قزوين.

شمال هذه المنطقة توجد منطقة غنية بالحديد، الذى أقيمت عليه عدة مصانع روسية، فى هذه المنطقة لوفرة معادنها، وكثافة السكان بها فى منطقة جبال أورال.

* * * * *

(١) الأطلس العربى ص ٥٠.

أور

القرية التى عتت عن أمر ربها

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الطلاق: ٨ - ٩].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

فى قرية أور.. إحدى قرى، أو مدن الدولة (الكلدانية) ولد سيدنا إبراهيم [١].

كان أبوه آزر يشتهر بإجادته صنع التماثيل التى كان يعبدها قومه، ويتخذونها آلهة من دون الله.

لكن إبراهيم لم يرض عما يعبده قومه. رفض عبادة هذه الآلهة التى يصنعها أبوه، والتى لا تسمع، ولا تبصر، ولا تعى ما يدور حولها. وراح يبحث عن الله.

بشفافية إيمانية.. أدرك أن الشمس والقمر والنجوم.. ليست هى الله الذى خلق هذا الكون بما فيه ومن فيه، لأن الشمس تظهر نهارًا، وتختفى ليلاً، القمر يظهر فى بعض الليالى دون ليال أخرى.. وتلك النجوم تظهر فى الليل، وتختفى فى النهار.

اهتدى إبراهيم إلى الله الواحد الذى خلق الكون، وأحسن تدبيره.

لذلك، قرر إبراهيم تحطيم هذه الأصنام التى يعبدها قومه.

ذات يوم عيد.. كان يحتفل به الشعب، يشاركهم ملكهم النمرود [٢].

---

(١) هو إبراهيم بن آزر بن ناحور بن سروج ينتهى نسبه إلى حام بن نوح عليهما السلام، هو أحد أولى العزم من الرسل. أنزل الله عليه صحفًا بها دعوة إلى عبادة الله وحده. يعرف باسم (أبو الأنبياء).

(٢) النمرود: وقيل كان اسمه أورنيمو بن كوش.. ينتهى نسبه إلى حام بن نوح. كان ملك الكلدانيين، عرف بولعه بالصيد، وكان خصمًا لسيدنا إبراهيم. (المنجد ص٥٤٠).

بعد أن انتهى الملك والشعب من السجود للآلهة؛ وتقديم القرابين لها؛ خرجوا للاحتفال بعيدهم، وكادت المدينة أن تكون خالية.

انتهز إبراهيم هذه الفرصة، ودخل المعبد، وحطَّم الأصنام ما عدا كبيرهم مردوخ، فعلق الفأس فى عنقه.

وحينما انتهت الاحتفالات بالعيد.. عاد القوم، فساءهم ما حدث لآلهتهم، وعلموا أن الذى فعل هذا هو إبراهيم بن آزر.

قبضوا على إبراهيم، وسألوه:

﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٢].

فى ثقة قال إبراهيم:

﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

لم يستطع الشعب، ولا الملك مواجهة إبراهيم، فاتفقوا على أن يحرقوه، فقبضوا عليه، وأشعلوا النار فى الحفرة، وألقوا فيها إبراهيم.. وتركوه فى النار عدة أيام، لكنهم فوجئوا بعد أن انتهت النار أن إبراهيم لم يحترق.. بقى سليمًا.. أنقذه الله من النار.

حدث نقاش بين الملك وإبراهيم:

سأل الملك إبراهيم:

- من ربك؟

قال إبراهيم:

- ربى الذى يحيى ويميت.

قال الملك:

- فأنا أحيى وأميت.

وجاء الملك بسجينين، أطلق أحدهما حرًا، بينما أمر بقتل الآخر، والتفت إلى إبراهيم وقال له:

- أرأيت؟ أنا أحيى وأميت مثل إلهك.

قال إبراهيم:

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

بهت الذى كفر

وهكذا انتهى الحوار بين إبراهيم والملك، لكن الملك أمر بقتل إبراهيم، فأخبر الله نبيه بالخروج من المدينة، فهرب إبراهيم ومن آمنوا بالله، واتجهوا إلى الشمال، ومنها إلى فلسطين (أرض كنعان).

بسبب موقف الملك ورجاله، وأهل أور الذين عصوا رسول الله إبراهيم، وحاولوا الخلاص منه.. ضعفت الدولة الكلدانية، وأصابها الخور والهوان، مما كان فرصة لجيرانها لمهاجمتها فى عاصمتها بابل، هاجمها العيلاميون الذين كانوا يسكنون في الشرق والآموريون الذين كانوا يسكنون فى الشمال، والذين عرفوا بعد ذلك (بالأشوريين).

لقد شاء الله أن ينتقم لرسوله إبراهيم، بخراب أور، تلك القرية التى عتت عن أمر ربها وعاصمتها بابل.

**** زمن هذه الأحداث:**

من دراسة لتاريخ بلاد الرافدين القديم (العراق) ذكر بعض المؤرخين [1] لقصص الأنبياء أن إبراهيم عليه السلام كان مولده سنة ١٩٩٧ ق. م وتوفى سنة

(١) تاريخ الأنبياء والرسل ص ٥١.

١٨٢٢ ق. م وكانت بعثته سنة ١٩٠٠ ق. م [١] أى أن هذه الأحداث وقعت خلال هذه الفترة، وإن كان سقوط الدولة الكلدانية وعاصمتها بابل كان بعد ذلك، ومعروف أن إبراهيم عليه السلام عاش مائة وخمسة وسبعين، ولعله علم أخبار ما وقع لقومه ولقريته وعاصمة دولته التى كان يعيش فيها.. ومن الطبيعى هلاك الملك النمرود الذى يقال: أن بعوضة دخلت أنفه، كانت تسبب له صداعًا، لا يوقفه إلا ضربه على رأسه.

موقع المكان:

أما أور حيث كان مولد إبراهيم، فهى مدينة تقع على نهر الفرات فى أدناه وجدت فيها آثار من أسلحة ذهبية وكنوز، وفيها منطقة مرتفعة اسمها زقور. أقام عليها الملك أورنيمو برجًا، كان يريد أن يصعد إليه ليرى إله إبراهيم الذى أنقذه من النار.

* * * * *

(١) المنجد ص ٥٦.

مكـــة

أم القـــــرى

حيث عاش إسماعيل عليه السلام وبنى إبراهيم عليه السلام الكعبة

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الأنعام: ٩٢].

﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفتح: ٢٤].

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى: ٧].

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

﴿ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾ [التين: ٣].

﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :

كثير من الأحداث وقعت فى مكة بأسمائها المتعددة [١].

تذخر مكة بما وقع فيها من أحداث كثيرة ومتنوعة خلال تاريخها الطويل.

---

(١) من أسماء مكة:

* بكة: لأنها تبك (تقصم ظهر من أراد بها سوءًا) كما حدث لأبرهة ملك الحبشة.
* أم القرى: لأنها أصل بداية العالم، خلقها الله، ودحى الأرض من حولها.
* البلد، والبلد الأمين.
* واد غير ذى زرع.

إليها جاء إبراهيم عليه السلام بصحبة زوجه هاجر وابنهما إسماعيل عليهما السلام، حيث كانت هاجر أول من استوطن مكة، وأنشأوها كمقر وموطن لحياة بشرية على الأرض مع ابنها فى واد غير ذى زرع، فلا أمطار ولا أنهار.

وفى مكة أنبع الله بئر زمزم، ليكون ماؤها ريا لحجاج بيت الله الحرام وزواره.

وفى ضاحية من ضواحى مكة، حيث يقع عرفات، وجبل ثبير، كانت قصة الفداء المعروفة الذى افتدى الله إسماعيل بذبح عظيم (١).

وفى مكة اشترك إبراهيم وإسماعيل وهاجر وغيرهم من سكانها فى رفع قواعد البيت الحرام الكعبة المشرفة.

وفى مكة كانت هزيمة أبرهة ملك الحبشة، الذى سوّل له الشيطان هدم الكعبة.

وفى مكة كان مولد محمد بن عبد الله وبعثته، وهو خاتم الأنبياء.

ومن مكة كان مسرى محمد إلى بيت المقدس، ومعراجه إلى السموات العلا.

ومكة هى التى فتحها رسول الله سنة ٨هـ، وكان فتحًا مبينًا.

وما تزال مكة رمزًا لدين الإسلام، وستبقى على مدى السنين والأعوام.

وإلى مكة يتجه الناس للحج والعمرة.

**** تاريخ مكة:**

ترجع أحداث بداية نشأة مكة إلى حوالى سنة ١٩١٠ ق. م، فمعروف أن إسماعيل كان مولده سنة ١٩١١ ق. م.

---

(١) حاول اليهود أن يغيروا الحقيقة، فسجلوا فى كتابهم العهد القديم فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين أن الذبيح هو إسحاق، هذا خطأ، فقد كان صاحب قصة الفداء هو إسماعيل، لأنه كان فى ذلك الوقت وحيد أبيه، ومعروف أن هاجر أنجبت ابنها إسماعيل، قبل أن تنجب سارة ابنها إسحاق بأكثر من ثلاث عشرة سنة.

وحين ذهب إسماعيل مع أمه وأبيه، كان ما يزال طفلاً.. بل لعله كان ما يزال رضيعًا، أى كان عمره تقريبًا عامًا.

حين وصل إبراهيم مع زوجه هاجر وابنهما إسماعيل.. أنزلهما إبراهيم فى أرض خالية، ليس فيها حياة بشرية أو نباتية، وخالية من أى نشاط اقتصادى أو عمرانى.

ولذلك تعتبر هاجر وابنها إسماعيل أول من سكن هذه المنطقة، منذ ما يقرب من أربعة آلاف عام.

وتذكر صفحات التاريخ أن إبراهيم بعد أن بنى لزوجه وابنه عريشًا، تهيأ للعودة إلى أرض كنعان (فلسطين)، فقالت له زوجه هاجر:

- يا إبراهيم.. أتتركنا وحدنا فى هذا المكان؟!

فقال لها إبراهيم:

- الرب معكما.

قالت هاجر فى إيمان بالله:

- فالله لن يضيعنا.

وما يملك إبراهيم، وهو يحتبس حزنه وعواطف أبوته فى قلبه على ولده وزوجه، إلا أن ينادى ربه:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ثم شاء الله أن ينبع عند قدمى إسماعيل بئر زمزم [1] وحامت عليها الطيور، التى دفعت بعضًا من رجال قبيلة جرهم الذين كانت أغنامهم ترعى

(١) انظر ما جاء فى هذا الكتاب ص٣٧ عن الصفا والمروة.

كلاً فى المنطقة، سألوا هاجر أن تسمح لهم بالبقاء فى هذا المكان، ليكون هذا بداية لعمران المنطقة (مكة).

وتتابعت الأيام، وبنى إبراهيم وإسماعيل الكعبة، وأمره الله أن يؤذن للناس بالحج إلى بيت الله.

تحركت الوفود إلى مكة للزيارة والطواف، وازداد عمران المنطقة، واتسعت.. وازداد اتساعها على مدى الأزمنة، لتصبح مدينة لها سكانها من الدول وخاصة دول العالم الإسلامى. انظر صورة لمكة تظهر فيها الكعبة.

**موقع المكان:

تقع مكة فى غرب المملكة العربية السعودية بأرض الحجاز، فى واد تحيط به بعض الجبال مثل جبل قبيس، جبل المقطع، جبل أسلع، جبل عمر وجبل حراء.

وترتفع مكة عن سطح البحر بحوالى ٣٠٠ مترًا.

فلكيًا تقع مكة عند تقاطع خط الطول ٥٠ ° ٣٩ شرقًا، ودائرة العرض ٣٠ ، ٢١ ° شمالاً.

ولمكة ثلاثة مداخل: المعلاة (الحجون) والشبكة والمسفلة. انظر شكل (٥).

وتقع الكعبة والمسجد الحرام فى مكة.

تبعد مكة عن الرياض عاصمة السعودية حوالى ٨٥٠ كم وعن المدينة المنورة حوالى ٧٠٠كم.

مكة سياسيًا وإداريًا تتبع المملكة العربية السعودية، وهى وما أحاط بها حرم آمن.

من حيث المناخ. مناخها صحراوى، حار طول العام، نادر المطر، والمدى الحرارى اليومى والفصلى كبير فى مكة.

صورة لمكة المكرمة، تظهر فيها الكعبة

الصَّفَا والمَرْوَة

سعت بينهما هاجر

﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٨].

**** الأحداث التي وقعت في هذا المكان:**

عرفت الأحداث طريقها بين الصفا والمروة منذ قدم إبراهيم وهاجر وإسماعيل إلى تلك البطحاء التي تقع في واد غير ذي زرع، والتي عرفت بعد ذلك باسم مكة.

١) لم يمض غير قليل على رحيل إبراهيم من مكة.. ربما مضى يوم أو بعض يوم، حين أدركت هاجر ظمأ ابنها.. فهرعت إلى سقاء الماء، لكن لهفتها تكسَّرت، حين وجدت السقاء فارغًا، لا يبض بقطرة ماء واحدة.

لحظات قاسية عاشتها هاجر، وهي تتلفت حولها، فلا ترى إلا رمالاً وحصباء تغطي المنطقة، رمال وحصباء أكثر ظمأ من ابنها، وما عرف عن الحصباء أو الرمال أنها تبض ماء.

تركت هاجر ولدها، وخرجت تنظر في الأفق المترامي حولها، لعل قافلة تجارة تراها.. يكون مع رجالها بعض ماء.

اعتلت هاجر جبل الصفا.. تنظر الفضاء، فرأت عند جبل المروة كأن لجة ماء!!

أسرعت هاجر إلى الصفا.. يملأها الأمل.. تسير حينًا، وتهرول أخرى، حتى إذا وصلت إلى المروة لم يكن ما رأته إلا سرابًا، يحسبه الظمآن ماءً!!

سبع مرات سارت هاجر بين الصفا والمروة، حتى إذا أنهكها طول السعي، ومشقة الطريق والحزن.. عادت إلى إسماعيل، تنتظر قضاء الله فيه، فإذا ابتسامة تملأ وجهه، وإذا نبع ماء عند قدميه، ينساب ماؤه صافيًا.. عذبًا، فراحت تغرف منه بكفيها، وتسقى

ابنها، وملأتها السعادة، وهى تروى ظمأها.. تكفكف دموعها فى عينيها.

وما كانت تدرى أنها مشيئة الله شاءها، لقدرٍ قدَّرَهُ فى سجلات الخلود.

كان سعى هاجر بين الصفا والمروة أول حدث بين الجبلين، وما كانت هاجر تدرى وهى تسير أو تُهَرْوِل بينهما أن هذا السعى سيكون شعيرة من شعائر الحج والعمرة لدين حفيدها محمد بن عبد الله ﷺ.

ومضت الأيام.. والصفا والمروة على حالهما كما عرفهما أهل مكة وزوارها.

٢) حتى كان ذات يوم..

شق رداء الصبح صوت صاف من فوق جبل الصفا.. ينادى:

- يا معشر قريش.. يا بنى هاشم.. يا بنى مخزوم.. يا بنى عبد المطلب.. إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى، وإنى لا أملك لكم من الله فى الدنيا منفعة، ولا من الآخرة نصيبًا، إلا أن تقولوا لا إله إلا الله.

كان الصوت هو صوت محمد بن عبد الله الذى بعثه الله رسولاً إلى قومه، فاستمر يدعوهم إلى الإسلام سرًا ثلاث سنوات، حتى أمره الله أن يجهر بدعوته، حين أنزل الله عليه قوله تعالى:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

هكذا كان جبل الصفا، أول منبر لرسول الله، أعلن منه عن دعوة الإسلام.

٣) ذات يوم..

عند الصفا أساء أبو جهل إلى رسول الله بالقول، وضربه بحجر، فشج رأسه، فما كاد يعلم حمزة بن عبد المطلب ما وقع لابن أخيه، حتى لطم أبا جهل على وجهه، وكاد يفتك به، وكان هذا الحدث بداية لإسلام حمزة.

٤) يوم فتح مكة..

اجتمع كفار قريش عند الصفا، يطلبون صفح محمد والعفو عنهم، يومها قال الرسول لهم:

- اذهبوا، فانتم الطلقاء.

**** الزمن التاريخى لهذه الأحداث:**

بالنسبة لسعى هاجر بين الصفا والمروة، فقد حدث هذا كما ذكرنا فى الحديث عن مكة أن عمر إسماعيل كان عامًا تقريبًا، وأن مولده حوالى سنة ١٩١١ ق. م.

إذن زمن سعى هاجر بين الصفا والمروة، كان حوالى سنة ١٩١٠ ق. م.

بالنسبة للزمن التاريخي الذى أعلن فيه محمد رسول الله ﷺ عن دعوته إلى الإسلام جهرًا كان ذلك سنة ٦١٣ م، معروف أن البعثة المحمدية كانت سنة ٦١٠ م، والجهر بها كان بعد ثلاث سنوات.

بالنسبة لإسلام حمزة بن عبد المطلب، فقد ذكر بعض المؤرخين أنه كان سنة ٦ من البعثة المحمدية أى سنة ٦١٦م.

أما فتح مكة، وعفو الرسول ﷺ عن الذين آذوه، كان فى ١٠رمضان سنة ٨هـ (٦٣٠م)

**** موقع الصفا والمروة:**

١) جبل الصفا: جبل صغير أشبه بأكمة.. يقع فى جنوب شرق مكة، على بعد حوالى ١٣٠ مترًا من الكعبة، ومنه يبدأ السعى.

٢) جبل المروة: جبل صغير من حجر المرو، يقع شمال شرق مكة على بعد حوالى ٣٠٠ م من الكعبة، وإليه ينتهى السعى.

وقد اهتم السعوديون بالمسعى بين الصفا والمروة، فتم تبليطه وتسقيفه، وإنارته ووضعوا علامات لمنطقة الهرولة فى السعى، وجعلوا له عدة أبواب، منها أبواب تشرف على المسجد الحرام، ليسهل الوصول بين المسجد والسعى.

* * * * *

الكعبة المُشَرَّفَة

بيت الله الحرام

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦].

﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ [المائدة: ٩٧].

**** قصة الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

أقامت هاجر وابنها إسماعيل بمكة، بعد أن استودعهما إبراهيم ربه، واتسعت مكة بإقامة الجراهمة، يرتوون من مياه زمزم.

وشاء الله أن يزداد عدد سكان مكة على مر الأيام، واتسعت فيها الدور والخيام.

حتى كان ذات يوم..

قدم إبراهيم ﷺ من أرض كنعان، حيث كانت تعيش زوجه سارة وابنهما إسحاق..

جاء إبراهيم لزيارة زوجه هاجر وولده إسماعيل، جاء لمهمة كلفه الله بها.

فى جلسة تسودها عواطف الأبوة والبنوة، قال إبراهيم لإسماعيل:

- يا إسماعيل.. إن الله أمرنى أن ابنى لـه بيتًا.

وأشار إبراهيم إلى أكمة حمراء قائمة على غير بعيد من بئر زمزم، وقال:

- هنا فوق هذه الربوة الحمراء، على أن تعيننى.

قال إسماعيل لأبيه:

- فأطع ربك فيما أمرك به، وستجدنى عونًا لك.

بدأ إسماعيل وإبراهيم وبعض رجال جرهم الذين كانوا يسكنون مكة يرفعون بقايا الأحجار الكثيرة التي كانت تعلو الربوة، حتى بدت قواعد البيت راسخة ثابتة كأسنام الإبل.

ثم بدأ الجميع يجمعون الأحجار من الجبال حول مكة: جبل قبيس، وجبل حراء، وجبل خندمة، وجبل عمر... وغيرها، ثم بدأوا عملية البناء.

كان إبراهيم يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، والرجال يأتون له بالأحجار، ويعدون له المونة، وهاجر تهيئ لهما وللرجال الطعام والشراب والجميع سعداء بما يعملون.

وكان الجميع يبنون، وهم ينادون ربهم:

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

ارتفع بناء جدار الكعبة.. فأتوا لإبراهيم بحجر [١] صعد عليه، واستمر يقوم بالبناء، وإسماعيل يناوله، والرجال يحملون الأحجار من كل مكان، حتى وصل الارتفاع بين سبعة وتسعة أذرع.

نظر إبراهيم إلى البناء، فوجد فيه مكانًا فارغًا للبنة، فقال لإسماعيل:

- إذهب يا إسماعيل، فابغ لنا حجرًا، أجعله علامة للناس.

لكن إسماعيل طال به الوقت دون أن يحضر، فبعث الله جبريل إلى إبراهيم بحجر [٢] أعطاه له، ليكتمل بناء الكعبة.

وهكذا تم بناء الكعبة، وصعد إبراهيم، ونادى:

- أيها الناس.. كتب الله عليكم الحج إلى بيته فحجوا [٣].

ولدهشة إبراهيم سمع أصواتًا تجيب:

---

(١) هذا الحجر هو الذي عرف بعد ذلك باسم مقام إبراهيم، وسنتحدث عنه بعد ذلك.
(٢) هذا الحجر يعرف اليوم بالحجر الأسود، وعنده يبدأ الطواف حول الكعبة.
(٣) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار.

- لبيك اللهم لبيك.

كم سعد إبراهيم وإسماعيل وهاجر وأهل مكة بما حققوه من طاعة لله ولرسوله إبراهيم، وكان هذا بداية مرحلة جديدة فى تاريخ بناء الكعبة مما سيكون لها أثر على مجريات الأحداث بعد ذلك فى مكة.

**** الزمن التاريخى لهذه الأحداث:**

لم يكن إبراهيم هو الذى بنى الكعبة، ولكنه هو الذى رفع قواعدها.

أما من هو أول من بنى الكعبة، فقد اختلفت الآراء:

قال بعض الرواة: إن الملائكة هم أول من بنوا الكعبة، بنوا هذا البيت تحت البيت المعمور الذى فى السماء، والذى يطوف حوله الملائكة.

وبعض الروايات تقول: إن آدم ﷺ هو أول من بنى الكعبة، أمره الله بذلك، ليكون بيتًا يطوف حوله بنو البشر فى الدنيا.

وفى روايات أخرى أن أول من بنى الكعبة هو شيث بن آدم عليهما السلام، كان ذلك حوالى سنة ٤٠٠٠ ق. م.

ثم كان البناء الذى رفع قواعد البيت فى عهد إبراهيم ﷺ.

وبدراسة حياة إبراهيم وإسماعيل، وكما قلنا أن مولد إسماعيل كان حوالى سنة ١٩١١ ق. م[1]، وأنه حين جاء مع أبيه وأمه إلى مكة، كان عمره عامًا أى سنة ١٩١٠ ق. م. ويمكن أن نقول.

إن بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة كان حوالى سنة ١٨٩٠ ق. م بعد أن اكتمل إسماعيل قوة وشبابًا.

وتتابعت بعد ذلك إعادة بناء الكعبة عدة مرات، فقد أعاد الجراهمة بناءها.

---

(١) أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص ٥١.

وكان من أهم المرات التى أعيد فيها بناء الكعبة.. قبل ظهور الإسلام بحوالى ٥ سنوات. أى سنة ٦٠٥ م.

كانت الكعبة قد تهدمت بسبب ما أصابها من سيول الأمطار التى صَدَّعت جدرانها، فاتفق رجال قريش يتزعمهم الوليد بن المغيرة على هدم الكعبة وإعادة بنائها [١]، وكان لمحمد ابن عبد الله موقف محمود، حين اختلف رجال قريش فيمن يضع الحجر الأسود فى مكانه، فاحتكموا إلى محمد ﷺ الذى استطاع أن يرضى الرجال بحكمته، وجنَّب القوم شر القتال.

ولا ننسى ونحن بصدد الحديث عن الكعبة، محاولة أبرهة ملك الحبشة الذى جاء إلى مكة ليهدمها، فكانت نهايته، وكان فشله فيما أراد، وحمى الله الكعبة من أبرهة ورجاله رغم ما كان يملؤها من أصنام، اتخذها رجال قريش آلهة لهم!!

ثم كانت ضربات الحصين بن نمير للكعبة فى عهد يزيد بن معاوية، حين تحصن بها عبد الله بن الزبير [٢]، ضربها الحصين بالمنجنيق وكرات النفط الملتهبة، فتهدمت واحترقت، فأعاد عبد الله بن الزبير بناء الكعبة سنة ٦٤ هـ، وعدل فيها بعض التعديلات، فارتفع بالباب الشرقى وسد الباب الغربى.

ولما تولى عبد الله بن مروان الخلافة، فكَّر أن يهدم الكعبة ويعيد بناءها على ما كانت عليه قبل الإسلام، ولكن العلماء ومنهم مالك بن أنس، نصحوه ألا يفعل، حتى لا تكون الكعبة فرصة يتلاعب بها الحكام.

واستمر اهتمام المسلمين بالكعبة على مدى العصور التاريخية، اهتم الأمين بن الرشيد بكسائها، واهتم بها حكام مصر فى عهد محمد علىّ، وأعيد ترميم الكعبة فى عهد السلطان العثمانى مراد الثانى سنة ١٠٤٠ هـ.

وحينما تولى السعوديون حكم الحجاز، كان اهتمامهم بالكعبة كبيرًا خصوصًا فى

---

(١) راجع كتاب تاريخ الكعبة والمسجد الحرام فى عهد إبراهيم عليه السلام. للمؤلف: إصدار دار الفرقان.
(٢) عبد الله بن الزبير، ابن السيدة أسماء بنت أبى بكر (ذات النطاقين).

عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد الذى أولى عناية خاصة بالكعبة والمسجد الحرام، ومما يذكره له التاريخ أنه فى عهده تم ترميم الكعبة سنة ١٤١٧ هـ ترميمًا شاملاً، فيه تمت تقوية أساس الكعبة وصقل جدرانها وسد الفجوات بين الأحجار، وتم تغيير سقف الكعبة بسقفين جديدين. انظر صورة الكعبة

موقع الكعبة:

تقع الكعبة المشرفة فى مدينة مكة المكرمة، وهى إحدى المعالم الهامة فى المدينة. وقد سبق أن ذكرنا موقع مكة الجغرافى والفلكى.

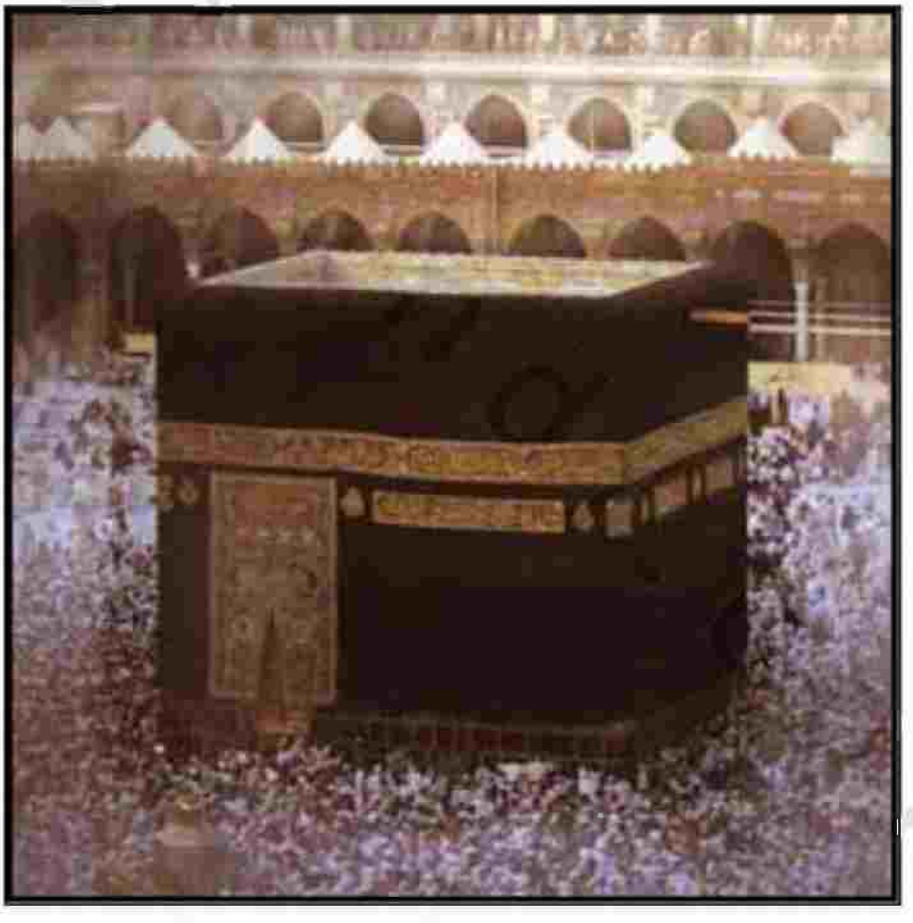

صورة للكعبة

* * * * *

obeikandl.com

مقـام إبراهيـم

﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

**** قصة الأحداث التي وقعت في هذا المكان وتاريخيها [١]:**

المقصود بمقام إبراهيم: موضع قدميه على الحجر الذى كان يقف عليه، وهو يبنى الكعبة.

فحينما ارتفع بناء الكعبة عن قامة إبراهيم ﷺ، كان عليه أن يعتلى حجرًا، ليكمل الجزء الأعلى من جدار الكعبة، فجاءوا له بحجر، اعتلاه، وكان يحركه من مكانه حيث يكون البناء، وكلما ارتفع البناء ارتفع الحجر، حتى انتهى إبراهيم ﷺ من بناء الكعبة.

واضح على الحجر غوص قدمى إبراهيم ﷺ فيه، وهو يقوم بالبناء.. حافيًا غير منتعل، ويقال أن عمق إحدى القدمين فى الحجر ١٠ سم، وعمق القدم الأخرى ٩ سم، وإن لم تظهر آثار أصابع القدمين، لأن المقام استمر مكشوفًا فى العراء مدة طويلة، فانطمست معالم تفصيل الأصابع على مر الزمن وطوله، ولمس الأيدى له.

طول قدمى إبراهيم ﷺ ٢٢ سم والعرض ١١ سم، مما يدل على أن إبراهيم ﷺ كان طويل القامة.

وشاء الله أن يحفظ بصمة قدمى إبراهيم على هذا الحجر منذ بدء بناء الكعبة حتى وقتنا هذا، وخلال ما يقرب من ٤٠٠٠ سنة، دون غيره من الأنبياء. حفظه الله رغم تعرضه للسيول التى كثيرًا ما كانت تجرفه معها، كما حدث فى سيل أم نهشل، حينما جرف المقام بعيدًا عن مكانه، فلما جف المطر، وجدوا المقام بأسفل مكة، فجاءوا به إلى عمر بن الخطاب ﷺ ووضعه فى مكانه.

---

(١) رأيت فى هذه القصة أن أقرن الأحداث بأزمانها، لتعدد هذه الأحداث.

وشاء الله ألا يتخذ رجال قريش المقام أحد آلهتهم كما كانوا يفعلون فى أحجار أخرى.

قال بعض الرواة: إن هذا الحجر ياقوتة من ياقوت الجنة، واستدلوا على ذلك بحديث لرسول الله ﷺ أنه قال: ((الركن والمقام ياقوتان من ياقوت الجنة، ولولا أن الله طمس نورهما لأضاءتا ما بين الشرق والغرب)) [1].

تستحب الصلاة عند مقام إبراهيم لقوله تعالى:

﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

على أن يجعل المُصَلَّى المقام بينه وبين الكعبة، ولا يجوز المسح على المقام، أو تقبيله.

وكان أول من اقترح الصلاة عند مقام إبراهيم عمر بن الخطاب، فصدقه الله بقوله تعالى:

﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

يعتبر مقام إبراهيم آية بينة من آيات الله، ومعجزة لإبراهيم عليه السلام. عنده يستجاب الدعاء.

وقد أقيم المقام على قاعدة من المرمر، مثبتة على قاعدة مربعة أخرى أكبر، طول ضلعها ١٣٦ سم.

فكر السعوديون مؤخرًا فى إقامة حجرة للمقام. فى مكان آخر بعيدًا عن حرم الطواف، حتى لا يعوق حركة الطوافين، فاقترح الشيخ الشعراوى رحمه الله وضعه فى مكانه فى مقصورة زجاجية، لا تأخذ حيزًا كبيرًا فى دائرة الطواف، حتى لا تعوق الحركة. واستجاب العلماء، ووافقوا الشيخ الشعراوى على اقتراحه، وتم له ما أراد.

فوُضع الحجر داخل غطاء من الزجاج الفاخر مع حاجز حديدى وقاعدة رخامية

(١) رواه ابن حبان ٣٧١٠، والسنن الكبرى للبيهقى ٧٥/٥.

١٨٠سم × ٢٣٤ سم، بذلك قلت مساحة المكان الذي يعوق حركة الطواف. انظر الصورة.

**موقع مقام إبراهيم:

تقع مقصورة المقام على بعد ١٤ مترًا من الحجر الأسود، ١٤ مترًا من الركن الشامي.

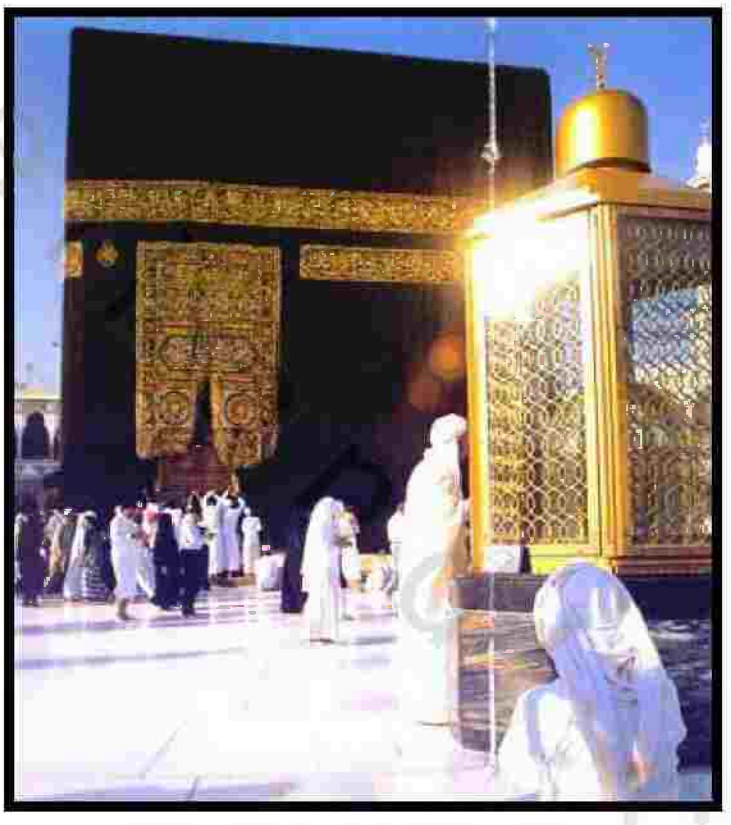

صورة لمقصورة مقام إبراهيم في الوقت الحاضر

المؤتفكات

قرى قوم لوط

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ أَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [التوبة: ٧٠].

﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ ﴾ [الحاقة: ٩].

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٠].

﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النجم: ٥٣ - ٥٤].

**** قصة الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

خرج إبراهيم عليه السلام من أرض أور بجنوب العراق، حيث كان يعيش، بعد أن تآمر عليه الملك النمرود والكفار، وحاولوا إحراقه، لكن الله جعل النار بردًا وسلامًا عليه.

هاجر إبراهيم من أور أرض حاران فى شمال العراق ومعه زوجه سارة، وابن أخيه لوط [1] الذى قال:

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الصافات: ٩٩].

فى حاران مات آزر أبو إبراهيم كافرًا.

ثم اتجه موكب إبراهيم ومن آمنوا به من أرض حاران إلى بلاد الشام واستقروا في أرض الكنعانيين.

افترق لوط عن عمه إبراهيم فى أرض الكنعانيين، حيث استقر فيها إبراهيم. بينما بعث الله لوطًا رسولاً إلى عدة قرى فى جنوب الشام، سنذكرها فيما بعد.

---

(١) هو لوط بن هاران بن آزر بن ناحور.. ينتهى نسبه إلى نوح عليه السلام.

عُرف عن المنطقة التى بعث الله إليها لوطًا أنهم كانوا قومًا كافرين، سيئى الأخلاق.. يأتون فى ناديهم المنكر، ويأتون الذكران من العالمين، ويقطعون الطرق على المسافرين.

حاول لوط أن يدعوهم إلى الله، والإيمان به، وأن يتركوا سوء ما يفعلون، ولكنهم رفضوا، واستمروا على كفرهم وآثامهم، وما جُبِلُوا عليه من فسق، لتمضى بهم الأحداث كما شاءها الله.

وعادت الحياة تمضى بإبراهيم عليه السلام فى أرض كنعان مع زوجه سارة.

خلال تلك الفترة.. زار بعض الملائكة إبراهيم عليه السلام، وبشروه هو وامرأته سارة بغلام حليم.. هو إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب.

وفى هذه الزيارة، أخبر الملائكة إبراهيم أنهم جاءوا لمهمة خاصة، وهى عقاب قوم لوط؛ بسبب كفرهم، وسوء أخلاقهم.

كانت امرأة لوط [1] مع أنها زوجة نبى، إلا أنها عصت الله، وانضمت إلى قومها فى سوء ما يفعلون، بل كانت تدلهم على زوار زوجها لوط بإشعال النار فى دارها.

زار الملائكة لوطًا فى داره، وسرعان ما عرف القوم بمقدمهم، فهرعوا إلى داره يريدون أن يأتوا الفاحشة مع زواره، وهم لا يعلمون أنهم ملائكة.

حاول لوط أن يصرف قومه، فقال لهم:

﴿هَٰؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ [هود: ٧٨].

أخبر الملائكة لوطًا بحقيقة مهمتهم، وأن عليه هو ومن آمنوا بربهم أن يبتعدوا عن هذه القرية، وسيأخذ الله الكافرين بكفرهم، ويصيبهم بعذابه.

---

(١) ذكر القرآن الكريم امرأة لوط كمثال للكفر هى وامرأة نوح فى قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

وطلب الملائكة من لوط والمؤمنين ألا يلتفتوا خلفهم، وأن يمضوا فى طريقهم.

وقبل أن يشرق فجر اليوم التالى.. سمع المؤمنون صيحة، فلم يلتفتوا خلفهم، إلا امرأة لوط، فقد التفتت خلفها، فأصابتها الصاعقة، وماتت على كفرها.

رفع جبريل قرى قوم لوط على جناحه، وقلبها.. جعل أعاليها أسفلها، وأسفلها أعاليها.. تفككت وانقلبت، فسميت هذه القرى كما ذكرها القرآن الكريم بالمؤتفكات.

زمن هذه الأحداث:

من خلال الدراسة لتاريخ الأنبياء، قال الرواة: إن الفترة التى عاشها لوط كانت من سنة ١٩٥٠ ق. م إلى سنة ١٨٩٠ ق. م وأن نبوة لوط كانت سنة ١٩٠٠ق.م.

.. هذه الأحداث وقعت حوالى سنة ١٨٩٥ق. م إلى سنة ١٨٧٠ق. م، وقد توفى لوط ودفن فى صوغر [١].

موقع مكان هذه القرى:

ذكرنا أن لوطًا ترك عمه إبراهيم، واتجه إلى جنوب الشام حيث كانت توجد قرى سدوم وعمورة وصوغر بالإضافة إلى قرية أخرى اسمها عظمى وهى التى عناها القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٠].

تقع هذه القرى جنوب البحر الميت الذى كان يعرف باسم بحر لوط، تحيط بها عدة دويلات صغيرة: المؤابيون والعمونيون فى الشرق، والكنعانيون فى الغرب، ثم مملكة أدوم فى الجنوب.

وهنا يجب أن نذكر حقيقة هامة، وهى أن بعض المؤرخين قالوا: إن منخفض البحر الميت حدث أثناء عقاب قوم لوط.

* * * * *

(١) أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص٥١.

الجُبُّ

الذى ألقى فيه أبناء يعقوب أخاهم يوسف عليه السلام

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يوسف: ١٠].

**** قصة الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

حقد أبناء يعقوب [١] على أخيهم يوسف [٢]، لما يناله من مزيد الحب والاعتزاز من أبيه، واشتد حقدهم وغضبهم عليه حينما علموا بما رآه فى حلمه، وأنه سيكون خليفة أبيه فى النبوة.

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [يوسف: ٤].

تآمر أبناء يعقوب [٣] على أخيهم يوسف، للخلاص منه؛ ليخلو لهم وجه أبيهم.

استطاعوا أن يقنعوا أباهم أن يأخذوا معهم أخاهم يوسف، يلعب معهم فى مراعيهم، وتعهدوا لأبيهم بالحفاظ عليه من كل سوء، ورغم مخاوف يعقوب على ابنه يوسف، إلا أنه وافقهم على ما أرادوه، إنها مشيئة الله لحكمة أرادها، ولقدر قدره فى سجلات الخلود، بعد أن تعهدوا لأبيهم بالمحافظة عليه، وعدم تعرضه للأخطار، وإعادتهم إليه سليمًا، سعيدًا برحلته معهم.

---

(١) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

(٢) يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، قال عنه رسول الله: ((الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم)).

(٣) وأبناء يعقوب هم: راؤوبين، شمعون، لاوى، يهوذا، يساكر، زبولون، دان، نفتالى، جاد، أشير بالإضافة إلى يوسف وأخيه الأصغر بنيامين.

اصطحب أبناء يعقوب أخاهم يوسف معهم، وكان سعيدًا، بعد أن ألبسه أبوه قميصًا جديدًا، وأعطاه زادًا من الطعام والشراب، وزوده بكثير من النصائح والوصايا الطيبة.

كان أبناء يعقوب يعيشون في شمال يبوس [1] (أورشليم) وكانت مراعي ومزرعة يعقوب في منطقة قرب شكيم (نابلس الحالية).

ومعنى هذا أن المنطقة التي نحن بصدد الحديث عنها، تقع بين يبوس وشكيم، أي بين القدس ونابلس (حاليًا).

مضى يوسف في الطريق مع إخوته سعيدًا بصحبتهم، وهو يمنّي نفسه برحلة ممتعة، وهم يظهرون له المودّة والحب، ويلبّون ما يطلبه، ويضاحكونه ويبتسمون في وجهه، بينما كانت قلوبهم مليئة حقدًا وحسدًا عليه.

حتى إذا ابتعدوا عن ديارهم، واقتربوا من مزرعتهم ومراعيهم.. نزعوا عن يوسف زاده، وسبُّوه، ولطموه على وجهه، وكانوا يستهزئون به، يدعونه: صاحب الأحلام.

تشاور أبناء يعقوب، واتفقوا على الخلاص من يوسف، حتى انتهوا إلى إلقائه في الجب.

خلع أبناء يعقوب عن يوسف قميصه، لم يرحموا بكاءه وآلامه، وألقوه في الجُب.. تشبّث يوسف بشفير الجب، يحاول أن يخرج منه، فكان إخوته يضربونه على يديه، حتى سقط داخل الجب.

ترك أبناء يعقوب أخاهم يوسف وحيدًا في الجب يستغيث بهم دون أن ينقذه أحد، لأن الحقد والكراهية قد تحكمتا في قلوبهم، نسوا أخوتهم ليوسف، وذبحوا شاة، ولطخوا بدمائها قميص يوسف، وعادوا إلى أبيهم في المساء، زاعمين أن

(١) يبوس: كانت عاصمة اليبوسيين سكان فلسطين الأصليين.

الذئب أكل يوسف، قالوا لأبيهم كلامًا زورًا:

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يوسف: ١٧].

وبقى يوسف فى الجب، حتى أنقذه الله، وأرسل إليه بعض السيارة (المارين)، فالتقطوه، وباعوه لرجال قافلة كانت فى طريقها إلى مصر، وليكون لنا معه لقاء آخر فى مكان آخر.

**** الزمن التاريخى لهذه الأحداث:**

معروف أن يوسف عاش فى الفترة من حوالى سنة ١٧٠٠ق.م إلى سنة ١٦٠٠ق.م[1].

وكانت الظروف التاريخية التى ولد فيها يوسف بعيدة عن أرض فلسطين، فقد شب النزاع بين يعقوب وأخيه عيسو، كل منهما ادَّعى البكورة، فلما اعترف إسحاق ببكورة يعقوب، خشى من انتقام أخيه، وهرب يعقوب إلى أرض فدان أرام بشمال العراق عند خاله لابان، وهناك تزوج ابنتى خاله راحيل وليا، وأنجب فى غربته منهما ومن جاريتين لهما أحد عشر ولدًا.. وحينما رجع يعقوب إلى أرض أبيه فى فلسطين.. كانت زوجه راحيل حاملاً، وفى منطقة أفرات (بيت لحم) [2]، وضعت راحيل ابنها بنيامين أصغر أبناء يعقوب وشقيق يوسف، وماتت راحيل، فدفنها يعقوب، ومضى إلى أرض أبيه فى يبوس.

ولأن أم يوسف وبنيامين كانت أكثر قربًا إلى قلب يعقوب، ولأنها توفيت، فقد كان بنيامين ويوسف يحظيان بمزيد من حب وإعزاز أبيهم يعقوب، مما دفع أبناء يعقوب إلى الرغبة فى التخلص من يوسف.

معروف أن يوسف حينما ألقاه إخوته فى الجب، كان عمره حوالى ٨ سنوات، أى

---

(١) وفقًا لترتيب أحداث قصة يوسف وربطها بأحداث تاريخ مصر القديم.

(٢) أفرات أو بيت لحم: هى المدينة التى وضعت فيها مريم ابنها المسيح عيسى عليه السلام.

أن هذه الأحداث وقعت حوالى سنة ٦٦٩٢ ق. م.

موقع هذا المكان:

واضح من خلال الأحداث التاريخية أن الجبّ الذى ألقى فيه أبناء يعقوب أخاهم يوسف كان فى المنطقة بين شكيم وبيوس.

هذه المنطقة سياسيًا تتبع الآن الدولة الفلسطينية، وهى منطقة سهلية، تقع فى سفوح منطقة هضبية، وإليها تنحدر بعض النهيرات مثل نهر الفارعة.

هذه المنطقة تنتمى مناخيًا إلى مناخ البحر الأبيض المعروف باعتداله وأمطاره فى الشتاء، وحرارته الصيفية.

* * * * *

obeikandl.com